وَسوْداءُ المُجَرَّد من «عقالٍ» تُبَايعُ مَنْ دَناخُذْها وَهَاتِ

وَهكذا وضع جريرٌ نسوَة بنى عقال فى دار الخزى وجعلهن أغراضَ الرماة ، فهنّ أخبثُ من الحمير وأمجن من المشركات ، ثمّ جعل هذه المرأة تبايع كلّ من دنا من الرجال فى سوق العاطفة المأجورة . فاشتدّ عليهن ورماهنّ بالخبث والمجن والفحش ، فأوقعهن فى ألسنة الناس ، يشار إليهن بالبنان ، ويقصدن لأغراض السوء .

وَمعينُ جرير لا ينضَب فى هذا الباب ، فهو يُرْسلُ الصوَر القبيحة متتاليةً فى ديوانه ، يَرمى بها خصومَه فلا يرحم النساء ولا يُشفق على شرفهن ، ولا يُبالى حين يُدْمى العرضَ ويخدش الكرامةَ والعفةَ ، فهو يريد أن يعرض المهجوَّ فى صورة تضحك الناسَ منه ، وتُزْرى بمقامه من الحسب والنسب والشرف . وكثيراً ما يشبّه المرأة بالخنازير أو بالحمير ، أو يصفها ضخمة البطن كريهة الرائحة بشعة الصوت لها خوار كخوار الثور . ويزيد على ذلك فيرسمها وقد خرجتْ للريب فى الليالى السود ، فهو يعتمدُ على الإقذاع فينزع عن المرأة حلاها من جمال ونسب وشرف ؛ فيقول فى نساء بنى تغلب قبيلة الأخطل :

نِسْوَانُ «تَغلِبَ» لا حِلْمٌ ولا حَسَبٌ وَلا جَمالٌ وَلا دينٌ ولا خَفرُ

وهنا يجرّدهن من العقل والدين والجمال والحياء ، فلا يُبقى على شىء من خصال المرأة الشريفة العفيفة الحصان . ويهجو التغلبيين فيرمى نساءَهم بسهام الشك والريب ، فيقول حين يتناول البعيث :

المُعْرِسِينَ إذا انْتَشوْا ببناتِهِمْ والدّائبينَ إجارةً وسُؤَالا

فهل ترى أقذع من هذه الصورة ، حين تُنعم النظر والدقة فترى الآباء يُصيبون بناتهم بعد أن تَعمل الخمرةُ فى الرؤوس فلا يَدرون ما يأتون وما يَجنون . وجريرٌ يُفيض فى هذا الباب فيتناول « تغلب » قائلا :

نُبِّئتُ «تَغلِبَ» يَنْكحونَ رحالَهُمْ وَترى نساؤُهمُ الحَرامَ حَلالا

وبذلك يرى للرجال هذا الشين المعيب ، وللنساء هذا الفعلَ المريب ، فلا